

التاريخ البدائي

الاتجاه الصحيح

الدرس
الرابع



خدمات الألفية
الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرسة لتقديم تعليمًا كتابيًا للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيي القادة يستند إلى الكتاب المقدس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات:

I. المقدمة

II. البنية الأدبية

أ. طوفان الخلاص

١. العهد الأولي

٢. العهد الدائم

٣. الهروب من الماء

٤. الخروج إلى الأرض الجافة

٥. الذكرى الإلهية

ب. النظام الجديد

١. أبناء نوح

٢. هزيمة بابل

III. المعنى الأصلي

أ. طوفان الخلاص

١. الروابط

٢. المضامين

ب. أبناء نوح

١. كنعان

٢. النزاع

٣. المضامين

ج. هزيمة بابل

١. المدينة

٢. النصر

٣. المضامين

IV. التطبيق العصري

أ. التأسيس

١. العهد

٢. النصر

ب. الاستمرار

١. المعمودية

٢. الحرب الروحية

ج. الاكتمال

١. الكارثة الأخيرة

٢. المعركة النهائية

V. الخلاصة

التاريخ البدائي

الدرس الرابع

الاتجاه الصحيح

المقدمة

أتذكّر الوقت الذي كنت أُدرّس فيه في أوكرانيا، ولم يكن لديّ إلاّ بضع دقائق لأصل إلى المكان الذي كنت ذاهباً إليه بالقطار. فهرعت إلى محطة القطارات، ونزلت الدرج بسرعة وقفزت إلى داخل القطار بينما كانت الأبواب على وشك أن تُغلق. كنت أعلم أنّ المسافة طويلة، فجلست في مقعدي التقط أنفاسي. ولكن بعد لحظات أيقنت فجأة أنني ركبت القطار الذي كان مسافراً في الاتجاه الخاطئ! كانت المحطة التالية على بعد أميال وشعرت أنّ القطار استغرق وقتاً طويلاً لوصوله. وعندما ركبت القطار الصحيح علمت وأنا في طريق العودة أنني سوف أصل متأخراً كثيراً. وأتذكر أنني قلت لنفسي: "حسناً، لم أرغب في هذا الوضع الذي وجدت نفسي فيه، لكن على الأقل أنا ذاهب في الاتجاه الصحيح."

أنا أعتقد أنّ هذه الحالة تنطبق على غالبية جوانب الحياة. الأوضاع التي نجد أنفسنا فيها ليست مثالية، وأغلبية الأوقات لا تكون جيدة لأننا نواجه العديد من المشاكل والتحديات حينما ذهبنا. ومع هذا نعرف أنه من الأفضل لنا أن نسير في الاتجاه الصحيح بدلاً من الطريق الخاطئ.

وضعنا عنواناً لهذا الدرس "الاتجاه الصحيح"، وفيه سنناقش سفر التكوين 6: 9 إلى 11: 9 حيث سوف نكتشف الاتجاه الذي عينه الله لشعبه بعد الطوفان العظيم في أيام نوح. وكما سنرى في هذه الإصحاحات من تاريخ العصور البدائية، وضع موسى لبني إسرائيل اتجاهاً واضحاً ليتبعونه. لم يكن ذلك الطريق ما أرادوه لأنفسهم، لكن الله عينه لهم ليأتي بهم إلى بركات عظيمة. وهذا الجزء من تاريخ العصور البدائية هام جداً للمسيحيين أيضاً لأنه يجب علينا نحن أيضاً أن نسير في هذا الاتجاه.

تتقسم دراستنا لسفر التكوين 6: 9 إلى 11: 9 إلى ثلاثة أجزاء. أولاً، سنفحص البناء الأدبي لهذه الإصحاحات. وثانياً، سوف نستكشف معناها الأصلي بمعرفة السبب الذي من أجله كتب موسى هذه الوقائع إلى بني إسرائيل. وثالثاً، سنلقي نظرة على العهد الجديد لنحصل على الإرشاد لتطبيق هذه الإصحاحات في حياتنا. دعونا نبدأ دراستنا للاتجاه الصحيح بفحص البناء الأدبي لهذه الإصحاحات.

البنية الأدبية

يشكّل (تكوين 6: 9 إلى 11: 9) جزءاً كبيراً من تاريخ العصور البدائية، ويمكن وضع مخطط لهذا الجزء بطرق مختلفة. لأهدافنا الخاصة، قسّمنا هذه الإصحاحات إلى جزئين رئيسيين. يحتوي الجزء الأول على (6: 9 إلى 9: 17) وأعطيناه عنوان "طوفان الخلاص". والجزء الثاني هو (تكوين 9: 18 إلى 11: 9)، وأعطيناه عنوان "النظام الجديد". يصف الجزء الثاني أحداثاً حاسمة عديدة حدثت بعد الطوفان ووضعت نماذج ثابتة اتّصف بها العالم بعد الطوفان. لكي نحصل على فهم أفضل للبناء الأدبي لهذه الإصحاحات، سنناقش كل جزء من هذين الجزئين الرئيسيين. دعونا نبدأ بفحص بنية القصة التي كتبها موسى عن الطوفان في أيام نوح.

طوفان الخلاص

في العصور الحديثة لاحظ عدد من مُفسّري الكتاب المقدس أنّ قصة نوح عن الطوفان تعرض نموذجاً أدبياً واضحاً. مع أنه من الممكن أن نصف هذا النموذج بعدة طرق، إلا أننا في هذه الدراسة سوف نشير إلى أنّ هذه الإصحاحات تتشكّل مسرحية متناسقة من خمسة مشاهد.

العهد الأولي

إنّ المشهد الأول من هذه المسرحية مذكور في (تكوين 6: 9-22)، وسندعوه "العهد الإلهي الأولي مع نوح". في هذا الجزء من القصة، ذكر موسى أنّ نوحاً كان رجلاً باراً في عالم فاسد بغيض. تكلم الله إلى نوح وأعلن له لماذا خطّط لهلاك الجنس البشري. نقرأ الكلمات التالية في (تكوين 6: 13):

فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ نِهَايَةً كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي. لِأَنَّ الأَرْضَ امْتَلَأَتْ ظُلْماً مِنْهُمْ. فَهَآ أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ.

ومع هذا فإن المشهد الأول من هذه المسرحية يُخبرنا بأن الله خَطَّط لبداية جديدة عن طريق إنقاذ رجل واحد وعائلته، أي نوح البار. وليؤكد الله مقاصده لنوح، دخل في عهد أولي معه. نقرأ في (تكوين 6: 17 و18):

أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِنُوحٍ مَا يَلِي: "كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ. وَلَكِنْ أَقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ. فَتَدْخُلُ الْفُلُكُ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ."

في بداية قصة الطوفان أقام الله عهداً بالقسم لينقذ نوحاً وعائلته من الطوفان القادم. أكد هذا العهد خلاص نوح وجعله رأساً للبشرية الجديدة بعد الطوفان. بعد أن رأينا كيف أن قصة الطوفان بدأت بالتركيز على عهد الله الأولي مع نوح، علينا أن ننقل إلى الجزء الأخير من القصة الذي يشكّل توازناً مع الجزء الأول، أي (تكوين 8: 20-9: 17) والذي سندعوه العهد الإلهي الدائم مع نوح.

العهد الدائم

كما يشير إليه عنواننا، نرى كيف أن الله رجع إلى نوح بعد الطوفان وأقام معه عهداً آخر. قرر الله أن يعطي البشرية نظاماً جديداً. نقرأ في (تكوين 8: 22): "مُدَّة كُلِّ أَيَّامِ الْأَرْضِ زَرْعٌ وَحَصَادٌ وَبَرْدٌ وَحَرٌّ وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ لَا تَزَالُ." كي يرسخ الله هذا الطريق الجديد، أقام عهداً ثانياً مع نوح في نهاية قصة الطوفان في (تكوين 9: 11-15):

أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضاً بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضاً طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الْأَرْضَ... وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ. فَيَكُونُ مَتَى أُنَشِزُ سَحَاباً عَلَى الْأَرْضِ وَتَظْهَرُ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ. أَنِّي أَذْكَرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ.

وهكذا نرى أن قصة طوفان نوح انتهت بالوعد بأن الطوفان لن يخرب الأرض ثانية، ويوضع الله قوسه في السحب كعلامة أكيدة بأنه لن ينسى هذا الوعد. هذا الوعد بالميثاق الختامي

يشير إلى الأهمية البالغة التي كانت لنوح في تاريخ العصور البدائية. كان نوح وسيطاً للعهد الذي امتدّ إلى كل الأجيال المستقبلية.

بعدما رأينا الجزئين الافتتاحي والختامي لهذه القصة، أصبحنا في وضع نستطيع فيه أن نستكشف الأعمال الداخلية لقصة الطوفان. ينتقل الجزء الذي في الوسط من عهد الله الأولي إلى النظام الجديد للعهد النهائي في ثلاث خطوات رئيسية.

الهروب من الماء

تظهر الخطوة الثانية في هذه القصة في (7: 1-16) والتي أعطيناها عنوان "هروب نوح من الماء". هذه الخطوة واضحة وسهلة. أعدّ نوح الفلك وأدخل فيه جميع أنواع البهائم. وانفجرت جميع ينابيع الغمر العظيم، لكن نوحاً وعائلته والبهائم التي جمعها كانت كلها بأمان داخل الفلك.

الخروج إلى الأرض الجافة

يشكّل الجزء الرابع لقصة نوح نظيراً للخطوة الثانية. إنه يصف "خروج نوح إلى الأرض الجافة" في (تكوين 8: 6-19). بعد أن توقّف الطوفان، تاق نوح لظهور الأرض اليابسة ليستطيع أن يغادر الفلك، وبعد فترة من الانتظار ظهرت الأرض اليابسة وأمر الله نوحاً أن يغادر الفلك، كما أمره سابقاً أن يدخله.

الذكرى الإلهية

وصلنا إلى مرحلة نستطيع فيها أن نتطرّق إلى نقطة التحوّل في هذه القصة (تكوين 7: 17-8: 5) والتي أعطيناها عنوان الذكرى الإلهية لنوح. تبدأ هذه الآيات بوصف الطوفان وهو يعجّ ويخرّب كل شيء حيّ على الأرض. وفي نهاية هذا الجزء كان الطوفان قد بدأ بالانحسار. وفي مركز هذا الجزء نجد جملة بسيطة ولكن بليغة تشير إلى السبب الذي جعل الله يوقف الطوفان. في (تكوين 8: 1) كتب موسى بأنه في وسط العاصفة "ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الْأَرْضِ فَهَدَّتِ الْمِيَاهُ."

لم ينسَ الله في رحمته العظيمة العهد الذي أقامه مع نوح والذين معه. تذكّر الله ركبّاب الفلك، وعمل نيابة عنهم على تهدئة المياه.

إنّ هذا المخطّط لقصة طوفان نوح يلقي ضوءاً على الاهتمامات الرئيسية لهذه القصة. كتب موسى عن الطوفان كقصة خلاص وإنقاذ. مع أنّ الدينونة حلّت على الأشرار على الأرض، إلا أنّ قصد موسى الرئيسي كان أن يبيّن أنه من خلال نوح أتى الله بالبشرية إلى عالم من البركات العظيمة الرائعة.

بعد أن ناقشنا الجزء الأول من (تكوين 6: 9-11: 9)، ننتقل إلى الجزء الثاني الرئيسي وهو النظام الجديد في (تكوين 9: 18-11: 9).

النظام الجديد

إنّ سجل موسى عن النظام الجديد في الإصحاحات 9-11 ينقسم إلى وحدتين أساسيتين. فمن ناحية أولى، يركّز (تكوين 9: 18 إلى 10: 32) على أبناء نوح. ومن ناحية أخرى، تسرد الآيات في (تكوين 11: 1-9) هزيمة مدينة بابل. ومع أنّ هذه الفقرات تبدو للوهلة الأولى غير مترابطة، إلا أننا سنرى أنها تعمل سوية على خلق نموذج للنظام الجديد في العالم. إنها تضع الملامح المركزية لتاريخ العالم من ذلك الوقت وإلى العصور اللاحقة. دعونا ننظر أولاً إلى سجل أبناء نوح والمساهمة التي يقدمها هذا السجل لصورة النظام الجديد في العالم.

أبناء نوح

إنّ سجل موسى عن أبناء نوح في الإصحاحين 9 و10 يتألف من عنوان وجزئين رئيسيين. نجد في (9: 18 و19) عنواناً يشير إلى أنّ هذا الجزء من تكوين يركّز بشكل رئيسي على أبناء نوح الثلاثة وكيف انتشروا في أرجاء الأرض.

وبموازاة هذا العنوان، ينقسم سجل موسى عن أبناء نوح الثلاثة إلى جزئين رئيسيين. نرى أولاً أنّ القصة في (9: 20-29) تضع فروقات بين الأبناء. وثانياً يصف (10: 1-32) انتشار أبناء نوح وأسلافهم. من المفيد أن نتطرق إلى هذين الجزئين كلّ على حدة.

إنَّ (9: 20-29) هو تلك الفقرة المعروفة في سفر تكوين، التي تتحدث عن اللعنة التي حَلَّت على كنعان ابن حام. لنصغِ إلى ما كتبه موسى في (تكوين 9: 24-27):

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ. فَقَالَ مَلْعُونٌ كَنْعَانُ....
وَقَالَ مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَامٍ.... لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَا فَثَ...

تتحدث هذه الفقرة عن الأحداث التي أدت إلى فروقات رئيسة بين أسلاف نوح. لَعَنَ نوح كنعان ابن حام بأن قال أن كنعان سيكون عبداً لإخوته. لكن نوح أعطى البركات لابنيه الآخرين سام ويافت لأنهما عاملاه بكل احترام.

أدرج موسى هذه القصة في وصفه للنظام الجديد بعد الطوفان لأن الجنس البشري بكامله انبثق من أبناء نوح الثلاثة. إنَّ الفروقات التي ذُكرت هنا أدت إلى ديناميكيات العلاقات البشرية التي بدأت منذ ذلك الوقت وفيما بعد في تاريخ الكتاب المقدس.

أكد الإصحاح 10 هذه النظرة عن الفروقات بين أبناء نوح عندما ذكر انتشارهم في العالم. نظر موسى إلى الأجيال التي أتت بعد نوح بمدة طويلة، وأعطى في تكوين 10 أمثلة عن الأمكنة التي ذهب إليها أنسال حام وسام ويافت.

بحسب تكوين الإصحاح 10، احتلَّ بنو يافت الأراضي الواقعة إلى الشمال، والشمال الشرقي، والشمال الغربي من كنعان. وبموجب استثناءات قليلة، انتقل بنو حام إلى شمال أفريقيا، وسكن ابن حام ذو المكانة الخاصة، كنعان، في أرض كنعان، أي في الأرض الموعودة لبني إسرائيل. واحتلَّ بنو سام الأراضي في شبه الجزيرة العربية.

إنَّ السجل المذكور في تكوين أصحاح 10 انتقائي هدفه إعطاؤنا نماذج عامة للهجرات التي تمّت. لكن هذه النماذج العامة كانت كافية بالنسبة لموسى ليوضّح لنا بعض النماذج طويلة الأمد التي اتصفت بها العلاقات البشرية في النظام الجديد بعد الطوفان.

بعد أن رأينا البنية الأدبية لقصة موسى عن أبناء نوح في (تكوين 9 و10)، أصبحنا مستعدين لتتطرق إلى الجزء الثاني من النظام الجديد بعد الطوفان: أي هزيمة مدينة بابل في (11: 9-1).

هزيمة بابل

تنقسم قصة برج بابل إلى خمس خطوات دراماتيكية متتالية. تبدأ الخطوة الأولى في الآيتين 1، 2 باجتماع غالبية الجنس البشري. لكن بالمقارنة، تنتهي القصة بالعدد 8 و 9 حيث نجد أن الله فرّق البشرية على وجه الأرض عندما بلبل لسانهم ولغتهم. كيف انتقلت البشرية إذن من كونها مجتمعة معاً بلغة واحدة إلى تبديدها على وجه الأرض بلغات كثيرة؟ إن الجزء الذي في الوسط يفسّر لنا ما حدث.

تقدّم لنا الخطوة الثانية في العديدين 3 و 4 الخطة التي وضعها الشعب. صمّموا أن يبنوا مدينة لها برج عظيم يصل إلى السماء لكي يكتسبوا شهرة عظيمة حتى لا يُقهرُوا. لكن الخطوة الرابعة في هذه القصة في العديدين 6 و 7 توازن ما بين الخطة البشرية وخطة الله المقابلة لها. طلب الله من جنده السماوي أن يهاجم المدينة ويبلبل لسان سكّانها، ونتيجة لذلك توقّف بناء المدينة وبرجها.

تظهر لنا نقطة التحوّل في هذه القصة في العدد 5 حيث نزل الله ليفحص المدينة وبرجها. وعندما رأى الله المدينة والخطط المتعالية التي وضعها سكانها، قرّر أن يضع نهاية لمدينة بابل. إذن نرى أنه بحسب موسى، أصبحت الحياة بعد الطوفان بعيدة جداً عن كونها فردوساً كان من المحتمل أن نتوقعه على وجه الأرض. وعلى عكس ذلك، يبيّن لنا السجل الخاص بأبناء نوح أنّ النظام الجديد يشمل علاقات معقّدة بين المجموعات المختلفة من البشر. ويحتوي أيضاً على تحديات إضافية لله، بالإضافة إلى الهزيمة النهائية التي ألحقها الله بالذين يتحدّونه. مع أنّ هذه الهياكل للنظام الجديد تبدو غريبة لنا في عصرنا هذا، سنرى أنها كانت مرتبطة بخبرات بني إسرائيل الذين كتب لهم موسى هذه الإصحاحات.

بعدما ناقشنا البنية الأدبية لتكوين (6: 9 إلى 11: 9)، يمكننا أن نطرح سؤالاً ثانياً: لماذا كتب موسى هذا السجل عن الطوفان والنظام الجديد الذي انبثق منه؟ ما هي الدروس التي كان يعلمها إلى بني إسرائيل عندما كانوا يتبعونه سائرين نحو الأرض الموعودة؟

المعنى الأصلي

نستطيع أن نتأكد أنّ موسى كتب عن طوفان نوح ووجهة النظام الجديد كي يطلع بني إسرائيل على المعلومات المرتبطة بهذه الفترة من تاريخ العصور البدائية. غير أنّ سجله انتقائي ويركز على مواضيع معينة لدرجة تجعلنا نعتقد أنّ هذه الأمور فقط هي التي كانت في فكره. لم يكتب موسى ليسرد لنا الماضي فحسب، لكن ليقدم الإرشاد إلى بني إسرائيل في زمنهم أيضاً. سنكشف عن هدف موسى بالنظر إلى ثلاثة أجزاء من (تكوين 6: 9-11: 9). أولاً سنفحص المعنى الأصلي لقصة الطوفان. ثم ننقل إلى سجل موسى عن أبناء نوح. وأخيراً سنركّز على المدلولات الأصلية للجزء الأخير من تاريخ العصور البدائية إلا وهو هزيمة بابل. دعونا نتحدث أولاً عن الطرق التي بها ربط موسى طوفان نوح بخبرة بني إسرائيل في زمنه.

طوفان الخلاص

لندرك كيفية استخدام موسى لقصة الطوفان، علينا أن نتطرق إلى جانبين من جوانب القصة. أولاً الروابط التي وضعها بين الطوفان والخروج، وثانياً مدلولات هذه الروابط بالنسبة إلى بني إسرائيل. وضع موسى الروابط بين الطوفان وفترة زمنه بأن وصف لنا نوحاً بطرق تماثل حياته وخدمته. طبعاً يمكننا أن نؤكد أنّ حياة موسى وحياة نوح كانتا مختلفتين بطرق عديدة، وعلينا ألا نتجاهل هذه الحقيقة. ولكن من الواضح أيضاً أنّ موسى صورّ لنا نوحاً لكي يرى قراءه من بني إسرائيل نوحاً كمنذير لموسى.

الروابط

توجد ثمانين روابط على الأقل بين نوح وموسى. أولاً، أقام موسى رابطاً بينه وبين نوح من ناحية موضوع العنف. نتذكر من خلال قراءتنا (لتكوين 6: 13) بأن طوفان نوح حدث بسبب امتلاء العالم بالعنف. وكما يبيّن لنا الإصحاحان 1 و2 من سفر الخروج، عامل المصريون بني إسرائيل بعنف شديد قبل دعوة الله لموسى. وكان خلاص موسى لشعبه من مصر هو بسبب العنف الذي حلّ عليهم. إذن، كان عمل نوح وعمل موسى إنقاذ الشعب من العنف.

الرابط الثاني يتضح في استخدام موسى لكلمة "فلك". إنَّ الكلمة العبرية لفلك نوح في تكوين الإصحاحات 6 إلى 9 هي **tevah**. ومن المثير للانتباه أنَّ المكان الوحيد الآخر الذي استخدم فيه موسى هذه الكلمة **tevah** هو في (خروج 2: 3 و5). أشار موسى في هاتين الآيتين إلى السَّفَط (السَّلَّة) الذي وضعته والدته فيه كفلك **tevah**. ومع أنَّ فلك نوح كان ضخماً بينما كان فلك موسى صغيراً جداً، إلاَّ أنَّ موسى أشار إلى حقيقة أنه هو ونوح أنقذا من الموت في المياه بواسطة فلك أو **tevah**.

وثالثاً، أهمية العهود الإلهية أيضاً ترسَّخ نوحاً ككذير لموسى. وكما رأينا في (تكوين 6: 18 و9: 11-13) دخل نوح في عهد مع الله نيابة عن الجنس البشري بكامله. طبعاً، نحن نعرف أن إحدى مهام موسى الرئيسة نحو بني إسرائيل كانت التوسط لعهد إلهي. وكما تبين لنا الإصحاحات 19 إلى 24 من سفر الخروج بشكل جيد، تمَّ اختيار موسى لقيادة بني إسرائيل للدخول في عهد مع يهوه عندما أتوا إلى جبل سيناء.

إنَّ الدور المركزي للدينونة عن طريق المياه ترسَّخ الرابط الرابع بين الرجلين. في تكوين الإصحاحات 6 إلى 9، أنقذ الله نوحاً وعائلته بحمايتهم وتوفير الأمان لهم وسط الطوفان الذي دمَّر وأزال الشرَّ من العالم. وبالطريقة نفسها تقريباً، وكما تخبرنا الإصحاحات 13 إلى 15 في سفر الخروج، قاد موسى بني إسرائيل خارج مصر باجتيازهم مياه البحر الأحمر، الذي حطَّمت وهزمت مياهه جيش المعتدين المصريين.

وخامساً، أرسل الله إليه ريحاً لتردَّ المياه في أيام نوح وأيام موسى أيضاً. وكما قرأنا في (تكوين 8: 1)، أرسل الله ريحاً لتهدئة المياه أثناء طوفان نوح. وبطريقة مشابهة، وبحسب سفر (الخروج 14: 21) وعند البحر الأحمر، "فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ".

يظهر لنا الرابط السادس في التركيز الذي نراه على الحيوانات. كما تخبرنا الآية في تكوين الإصحاح 6: 19، أمر الله نوحاً بأنَّ يُدخل البهائم إلى الفلك. وفي أربع مناسبات على الأقل يذكر سفر الخروج الحيوانات العديدة التي غادرت مصر مع بني إسرائيل. فكما ربَّب الله لنوح أن يجلب معه البهائم إلى العالم الجديد في أيامه، ربَّب الله لموسى أيضاً أن يجلب الحيوانات إلى أرض الموعد.

سابعاً، موضوع الذكرى الإلهية أيضاً يربط نوحاً بموسى. تذكرون أنه في تكوين 8: 1 عندما كانت المياه تعجّ وتثور أيام نوح، أنقذ الله نوحاً لأنه تذكره. أقام الله عهداً مع نوح بأن يوفَّر له الأمان

وسط الطوفان، وتذكّر الله عهده. وبالطريقة نفسها، أعلن الله لموسى أنه أنقذ بني إسرائيل من مصر لأنه تذكّر عهده. لنصغ إلى ما قاله الله لموسى في (خروج 6: 5):

وَأَنَا أَيْضاً قَدْ سَمِعْتُ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَتَذَكَّرْتُ
عَهْدِي.

لعبت الذكرى الإلهية دوراً حيوياً في الطوفان وفي الخروج. وأخيراً، فإن بركة الطبيعة تربط بين نوح وموسى. جلب نوح الجنس البشري إلى عالم جديد حيث وعد الله بوجود نظام دائم ومستقر للطبيعة مما يؤدي إلى فائدة البشرية. وبطريقة مشابهة، قال موسى لبني إسرائيل أنّ الطبيعة في الأرض الموعودة ستكون مستقرة وذات فائدة لهم.

مع هذه الروابط بين نوح وموسى، نستطيع الآن أن نرى المدلولات لهذه الروابط المتشابهة بالنسبة لبني إسرائيل. لماذا أقام موسى هذه الروابط؟

المضامين

لكي ندرك المدلولات الأصلية لهذه الأحداث، علينا أن نتذكّر أنّ بني إسرائيل قد تمردوا بشدة ضد موسى، وألقوا الشبهات على سلطته وحكمته لخطته للخروج من مصر واحتلال الأرض. هذه التحديات التي واجهها موسى أثناء خدمته دعت ليرسخ الروابط بينه وبين نوح.

استخدم الله نوحاً عندما نجّاه من الطوفان لينقذ البشرية من العنف المروع للعصور البدائية، وليقيم ثانية عالماً جديداً للجنس البشري يتمتع فيه ببركات عظيمة. وبنفس الطريقة، اختار الله موسى لإنقاذ بني إسرائيل من العنف المروع في مصر وليأتي ببني إسرائيل إلى عالم جديد في الأرض الموعودة. كانت خطة موسى لبني إسرائيل مشابهة لطوفان نوح لدرجة لا يستطيع أي شخص أن ينكر أنّ تلك الخطة كانت من صنع الله.

بعدما رأينا المعنى الأصلي لطوفان الإنقاذ، لننتقل إلى السجل الذي كتبه موسى عن أبناء نوح في تكوين 9: 18 إلى 10: 32.

أبناء نوح

لماذا أدرج موسى هذه المادة في تاريخه للعصور البدائية؟ ما الذي قصده من تذكير بني إسرائيل بهذه الأحداث والقضايا؟ لكي نفحص هذا الجزء من سجل موسى، سنتطرق إلى ثلاث قضايا: أولاً، تركيزه الخاص على كنعان؛ ثانياً، موضوع النزاع؛ وثالثاً، مدلولات هذه المواضيع بالنسبة إلى بني إسرائيل. لنرى أولاً الاهتمام الخاص الذي أولاه موسى لكنعان.

كنعان

لا شك أننا نتذكر كيف أن نوحاً استيقظ من خمره وأدرك أن حام قد الحق العار به، وأن سام ويافت قد أكرماه. يبدو من المعقول هنا أن يصب نوح غضبه على حام وأن يلعنه، كما بارك إبنيه الآخرين. لكن هذا الأمر لم يحدث. لنصغ إلى مجمل ما قاله نوح في (تكوين 9: 25-27):

مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخَوْتِهِ. وَقَالَ مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَّهُمْ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاْفَتْ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَّهُمْ.

كما نرى في هذه الفقرة، حصل سام ويافت على مكافآت مناسبة بسبب برهم، لكن حام لم يُذكر في هذه الفقرة. بدلاً عنه نرى أن كنعان، ابن حام، هو الذي حُلَّتْ عليه لعنة نوح. عندما ننظر بدقة إلى هذه القصة، نرى أن حام يلعب دوراً مختلفاً عن أخويه. بالمختصر، لا توجد أية أهمية لحام إلا أنه كان والد كنعان. لاحظوا الطريقة التي كتب بها موسى عن حام في هذا النص. نقرأ في (9: 18): "وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلِّ سَامًا وَحَامًا وَيَاْفَتْ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ."

ويظهر (9: 22) هوية حام بطريقة مشابهة: "فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا". انتقل حام تدريجياً إلى خلفية هذه القصة، وأخذ ابنه كنعان مكانه إلى جانب سام ويافت. بعد أن رأينا تركيز موسى الخاص على كنعان، ننقل إلى اهتمام آخر يظهر في تعامل موسى مع أبناء نوح والنزاع في النظام الجديد بعد الطوفان.

النزاع

يلعب النزاع دوراً رئيسياً في اهتمام موسى بأبناء نوح. وإذا تغافلنا عن هذا الموضوع فإننا نفقد الجانب الأكثر أهمية من القصة. تظهر فكرة النزاع أيضاً في (تكوين 9: 25-27):

مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخَوْتِهِ. وَقَالَ مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَّهُ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَا فَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ.

لاحظوا كيف يشدد موسى على حتمية النزاع بتكرار لعنة كنعان ثلاث مرات في هذه الفقرة. في العدد 25 أعلن أن لعنة كنعان ستكون أدنى درجات العبودية التي يمكن أن نتخيلها. وفي العدد 26 تنبأ نوح أن كنعان سيكون عبداً لسام. وفي العدد 27 أضاف موسى بأن كنعان سيكون عبداً ليافت أيضاً. ومن خلال هذا التكرار، شدد موسى على حقيقة أن أخوة كنعان سوف يسيطرون عليه بكل تأكيد.

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن هذه الآيات تظهر سام على أنه المنتصر الرئيسي على كنعان. في العدد 27، الكلمات التالية: "لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَا فَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ." يمكن أن تترجم بصورة أفضل كالتالي: "فيسكن يافت في مساكن سام ليكون كنعان عبداً له".

يبدو أن ما يريد نوح أن يقوله هو أن كنعان لن يصبح خاضعاً ليافت إلا إذا انضم يافت إلى سام وكان تحت إمرته. وبالحقيقة فإن موسى اعتقد أن سام سيتولى القيادة في عملية إخضاع كنعان. وهكذا نرى في هذه الفقرة كيف أن موسى رسّخ أحد الملامح الهامة للنظام الجديد بعد الطوفان، والذي كان من الصعب أن نتوقعه. لقد أدرك موسى أن مستقبل البشرية يقتضي وجود نزاع دراماتيكي حيث يخضع فيه نسل كنعان إلى نسل سام. في ضوء الاهتمام الذي أولاه موسى إلى كنعان وفي ضوء موضوع النزاع، يمكننا أن نرى المدلولات الأصلية لأبناء نوح بالنسبة إلى بني إسرائيل في القديم.

المضامين

لماذا أدرج موسى هذه الأحداث في سجله للنظام الجديد بعد الطوفان؟ كان لدى موسى سبب خاص الذي من أجله وصف النظام الجديد بهذه الطريقة. كان للنزاع بين سام وكنعان علاقة قوية بتلبية احتياجات بني إسرائيل، وبشكل خاص له صلة وثيقة بجانب حاسم من جوانب حياتهم. ان السر لفهم هدف موسى يظهر في (تكوين 10: 18-19). بعد أن ذكر موسى بعض أنسال كنعان، كتب يقول:

وَبَعْدَ ذَلِكَ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْكَنْعَانِيِّ. وَكَانَتْ تُحُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ حِينَمَا تَجِيءُ
نَحْوَ جَزَارَ إِلَى عَزَّةَ وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدَمَةَ وَصَبُؤِيمَ إِلَى لَاشَعِ.

كانت هذه الاشارات إلى المواقع الجغرافية المحددة مألوفة بالنسبة إلى قرآء موسى من بني إسرائيل. كان أنسال كنعان، أو الكنعاني، قد استقروا في الإقليم الذي امتد من الشمال إلى الجنوب، من صيدون إلى غزة ومن ثم إلى إقليم سدوم وعمورة. كان موسى مهتماً بشكل خاص بأنسال كنعان الذين استقروا في أرض الموعد.

وبما أن الساميين كانوا مدعويين من قبل الله، فإن بني إسرائيل كان عليهم الانتقال إلى هذه الأرض التي لنسل كنعان للمطالبة بها على أنها أرضهم.

إذاً، نرى أن سجل موسى عن أبناء نوح لم يكن هدفه مجرد تاريخ لحقبة سابقة، لكن هدفه كان إعطاء خلفية لدعوة موسى إلى بني إسرائيل ليتقدموا إلى الأمام لاحتلال الأرض، كما عيّن وخطّط الله في العصور البدائية. ونتيجة ذلك، فإن بني إسرائيل الذين قاوموا دعوة موسى لاحتلال أرض كنعان لم يكونوا يقاومون موسى فحسب، لكنهم كانوا بالحقيقة يقاومون خطة الله، أي النظام الذي أسسه الله للعالم بعد الطوفان.

بعدما رأينا كيف أن السجل المتعلق بالطوفان وبأبناء نوح كان له تطبيق مباشر على القرآء الأصليين من بني إسرائيل، ننتقل إلى النقطة المركزية الثالثة، وهي قصد موسى الأصلي عندما كتب عن هزيمة بابل في (تكوين 11: 1-9).

هزيمة بابل

كي نفهم الطريقة التي أراد بها موسى من بني إسرائيل أن يطبقوا قصة هزيمة بابل في حياتهم، سوف نتطرق إلى ثلاثة جوانب لهذه الفقرة: أولاً، وصف موسى للمدينة، ثانياً: وصفه لانتصار يهوه، وثالثاً: المدلولات بالنسبة إلى بني إسرائيل بينما كانوا يتحركون باتجاه الأرض الموعودة. دعونا ننظر أولاً إلى وصف المدينة.

المدينة

علينا أن نلاحظ أن اسم المدينة، بابل (Babel)، يتطابق مع اسم المدينة التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم بابل (Babylon). كانت مدينة بابل معروفة جيداً في الشرق الأدنى في أيام موسى. لقد كانت مركزاً للحضارة لعدة سنوات، ووصلت شهرتها إلى أماكن عديدة. لذلك عندما كتب موسى عن مكان يدعى بابل بعد الطوفان، كان بمقدور قرائه حالاً أن يدركوا أن ذلك المكان كان أصلاً مركزاً حضرياً عظيماً في العصور البدائية.

النصر

الجانب الثاني الهام من (تكوين 11: 1-9) هو الطريقة التي بها وصف موسى انتصار يهوه على هذه المدينة العظيمة في العصور البدائية. ففي عدة مراحل من هذه القصة، أعلن موسى عظمة انتصار الله عن طريق مقارنة نظرة سكان بابل بنظرته الخاصة الصحيحة. فمثلاً، لاحظوا الطريقة التي عالج بها موسى موضوع التبدد أو الانتشار، أو في العبرية الفعل (puts). فمن ناحية كان سكان بابل قلقين جداً بسبب احتمالية تبددهم. ونجد في (11: 4) أنهم بنوا المدينة "لئلا تَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ". لكن بالمقارنة، ذكر موسى مرتين أن الله قام بنفس الشيء الذي لم يرغب أهل بابل بأن يحدث. نقرأ في (11: 8) أن الرب بددهم على وجه كل الأرض. وفي (11: 9) نجد أن "وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ".

غالباً ما نجد في العهد القديم أن كلمة "بدد" لها معنى ضمني سلبي يعني هزيمة نكراء في المعركة. فقد كان الجنود المنهزمون يتددون بينما كان أعداؤهم يطاردونهم ويقتلونهم أثناء هربهم. وهذا هو المعنى الضمني في هذه القصة أيضاً. قدم موسى هذه القصة كسجل للانتصار المدهش الذي أحرزه يهوه. لقد دعا يهوه جنده السماوي ليحارب ضد مدينة بابل، وليطارد أهلها الهارين في أرجاء الأرض.

الطريقة الأخرى التي قارن بها موسى نظريته بنظرة سكان بابل كانت بالنسبة إلى حجم المدينة وبرجها. بحسب (تكوين 11: 4) أراد سكان بابل برجاً رأسه بالسما، أي مكان آلهتهم. لكن موسى استهزأ من هذه الفكرة. وبدلاً عن ذلك، كتب في (تكوين 11: 5):

فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ الَّذَيْنِ كَانِ بَنُو آدَمَ يَبْنُوهُمَا.

ان الكلمة العبرية (Yarad)، المترجمة هنا "نزل" لها معنى ضمني خاص في هذه القصة. الله لم يلاحظ المدينة فقط، ولم يأت إلى المدينة فحسب، لكن بدلاً عن هذا وفي الوقت الذي كان سكان بابل يريدون بناء برج رأسه بالسما، أصر موسى على أن يهوه اضطر أن ينزل من أعالي السماء فقط لينظر المدينة. إذاً، نرى أن موسى استهزأ من ادعاء سكان بابل، فمن وجهة نظر يهوه، كانت تلك المدينة مجرد قشة صغيرة.

أخيراً ينبغي أن نلاحظ كيف أن هزيمة بابل قادت موسى ليسخر من سمعة تلك المدينة في العصور البدائية. سكان المدينة دعوا بابل. وفي لغات ما بين النهرين، كانت كلمة "بابل" تعني "بوابة إلى الآلهة". عبّر هذا المعنى عن الاعتقاد السائد بأن برجهم الهرمي كان بالفعل يشكل معبراً إلى الآلهة، وأنهم كانوا يشعرون بالأمان بسبب قوة السماء.

لكن موسى كان له وجهة نظر مختلفة بالنسبة لاسم المدينة. فيما أن يهوه قد هزم بابل هزيمة نكراء، لم تكن المدينة بوابة إلى الله. ماذا كان إذن معنى هذا الاسم؟ يظهر لنا جواب موسى الساخر في (تكوين 11: 9):

لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِلَ. لِأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلَّبَلَ لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ.

لكي ندرك ما تنطوي عليه هذه الآية من سخرية، علينا أن نفهم كيف تلاعب موسى باللفظين العبرانيين. أولاً قال: " لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا بَابِلَ". الكلمة العبرية "لبابل" هي "Babel" التي هي النسخة العبرية لما كان يطلقه سكان ما بين النهرين على ذلك المكان. لكن موسى شرح لنا أن

تلك المدينة كان لها ذلك الاسم لأن الله بلبل لغة البشر هناك. والكلمة العبرية التي تترجم "بلبل" أو شوش "هي" Balal، التي تشابه بصوتها كلمة "Babel" في العبرية، مما دعا موسى إلى اظهار السخرية. أظهر موسى الاحتقار نحو المدينة القديمة عندما قال إن السبب الحقيقي الذي من أجله دعيت بابل هو لأن "Balal" أو التشويش والبلبل حدثت هناك. إذاً، من وجهة نظر موسى كان اسم بابل مناسباً لذلك المكان، ليس لأنها كانت بوابة إلى الآلهة، لكن لأنها كانت مكاناً للتشويش والبلبل لكل العالم.

من خلال هذه السخرية، عكس موسى بشكل كامل سمعة بابل العظيمة التي كانت في زمنه، فقد بعث الضحك والسرور في قلوب بني إسرائيل عندما أخبرهم بأن انتصار إلههم يهوه قد جعل من تلك المدينة العظيمة في تاريخ العصور البدائية مهزلة. بعدما رأينا هذا الوصف للمدينة وانتصار يهوه عليها، نستطيع أن ندرك مدلولات هذه القصة بالنسبة لبني إسرائيل بينما كانوا يتجهون نحو الأرض الموعودة.

المضامين

نعلم أنه عند "قادش برنيع" أرسل موسى رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان، وان الرجال رجعوا وقدموا تقريراً سيئاً. لقد ادعوا أن بني إسرائيل لا يستطيعون احتلال أرض كنعان لأن السكان هناك كانوا أقوياء وعظماء. ونتيجة لذلك، لم يدخل بنو إسرائيل الأرض ويستولوا عليها لكنهم قضاوا 40 سنة تائهين في البرية. لم يستطع موسى أن يقود بني إسرائيل إلى أرض كنعان ثانية الا عندما بلغ الجيل الجديد سن البلوغ.

إن أحد جوانب التقارير السيئة يساعدنا على أن نفهم مغزى هزيمة بابل في العصور البدائية. لنصنع إلى ما قاله الجواسيس عن مدن كنعان كما هو مذكور في (تثنية 1: 28):
شَعْبٌ أَعْظَمُ وَأَطْوَلُ مِنَّا. مُدُنٌ عَظِيمَةٌ مُحَصَّنَةٌ إِلَى السَّمَاءِ.

للأسف، أن غالبية المفسرين المعاصرين لهذه الآية فشلوا في ايجاد الرابط بين وصف مدن كنعان وبرج بابل. عندما قال الجواسيس "مُدُنٌ... مُحَصَّنَةٌ إِلَى السَّمَاءِ"، فإن كلمة "السماء" هي الكلمة العبرية "Shamayim"، التي غالباً ما تترجم "سما". إنها بالحقيقة الكلمة ذاتها التي استخدمت

عن برج بابل عندما تم وصفه بـ"بُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ" في (تكوين 11: 4). في كلتا الحالتين، الفكرة هي أن المدن كانت لا تقهر لأنها كانت مرتفعة إلى السماء.

هكذا وضع موسى رابطاً بين مدينة بابل في العصور البدائية وبين مدن كنعان. اعتقد بنو إسرائيل أن الأسوار المحيطة بمدن كنعان وصلت إلى السماء، مثلهم مثل الذين بنوا برج بابل واعتقدوا أن برجهم الهرمي وصل إلى السماء.

إن هذا الرابط بين مدينة بابل ومدن كنعان يظهر لنا بوضوح قصد موسى. ربما أن مدن كنعان بدت لبني إسرائيل وكأنها وصلت إلى السماء، لكنها مع هذا لا تقارن بقوة يهوه. في العصور البدائية هاجم الله أعظم مدينة معروفة للبشرية والتي كان من المفترض أن برجها وصل إلى السماء. لكن هذه المدينة القديمة، التي كانت أعظم من أي مدينة في كنعان، دُمّرت بسهولة من قبل يهوه.

كما أن الله أنقذ الجنس البشري وانتقل به إلى نظام جديد من خلال طوفان العصور البدائية، أنقذ أيضاً بني إسرائيل من مصر. وكما حدد الله قيام نزاع بين سام وكنعان، كان موسى يقود بني إسرائيل باتجاه أرض الكنعانيين. وكما أن الله هزم المدينة العظيمة بابل، كان سيعطي النصر سريعاً لبني إسرائيل ضد مدن كنعان. من هذه الفصول في تاريخ العصور البدائية كان على بني إسرائيل أن يدركوا بأن أتباعهم لموسى تجاه الأرض الموعودة كان التحرك في الاتجاه الصحيح.

رأينا لحد الآن البنية الأدبية والمعنى الأصلي لسجل موسى من (تكوين 6: 9 إلى 11: 9). يمكننا الآن أن نطرح سؤالاً ثالثاً. ما هي بعض الطرق التي يمكننا أن نطبقها في حياتنا اليوم؟

التطبيق العصري

بحسب نهجنا المعتاد سنتطرق إلى هذا السؤال ونناقشه باتباع وصف العهد الجديد للمراحل الثلاثة لملكوت المسيح. سنناقش أولاً كيف ينطبق طوفان الانقراض والنظام الجديد المنبثق عنه على كيفية تأسيس الملكوت أثناء مجيء المسيح الأول. ثم سنتطرق إلى صلة هذه القضايا باستمرار الملكوت خلال تاريخ الكنيسة. وأخيراً سنفحص كيف يطبق العهد الجديد هذا الجزء من تاريخ العصور البدائية على اكتمال الملكوت عندما يعود المسيح ثانية بمجد.

إذا استخدمنا هذا النهج للنظر إلى الفصول الأخيرة من تاريخ موسى للعصور البدائية، فإننا سنكتشف ان العهد الجديد يناقش قصد موسى الأصلي في ثلاث مراحل في ملكوت المسيح، أي

عمله في الماضي، وفي الحاضر، وفي المستقبل. دعونا ننظر أولاً إلى الطرق التي يتطرق بها العهد الجديد إلى هذه المواضيع في ضوء مجيء المسيح الأول.

التأسيس

في تأسيس الملكوت، حقق المسيح خلاصاً عظيماً نيابة عن شعبه في طرق تتطابق مع المواضيع التي ركز عليها موسى في (تكوين 6: 9-11: 9). نستطيع أن نرى هذه الروابط بطريقتين على الأقل: العهد الذي كان المسيح وسيطه، والانتصار الذي حققه.

العهد

فمن ناحية أولى، حقق المسيح خلاصاً لشعبه بواسطة عهد أنقذهم من دينونة الله. كما رأينا سابقاً، قام نوح بدورٍ خاص كوسيط للعهد، واقتبس موسى من هذه الحقيقة ليشرح مهمته الشخصية إلى بني إسرائيل. وبطريقةٍ مشابهة، يُعَلِّم العهد الجديد أن المسيح هو منقذنا لأنه كان الوسيط لعهد جديد عندما أتى إلى العالم.

غالباً ما يفشل المؤمنون في إدراك أن المسيح جاء إلى العالم عندما كان شعب الله تحت دينونة إلهية. ولأن بني إسرائيل خرقوا بشكل فاضح عهود العهد القديم، فإن البابليون دمروا أورشليم في عام 586 قبل الميلاد. ومنذ ذلك الوقت لم يتخلص بنو إسرائيل بشكل كامل من السيطرة الأجنبية.

لكن النبي ارميا تنبأ بأن الله سوف يفدي شعباً من وسط نار السبي عن طريق إقامة عهد جديد في المستقبل. أعلن النبي ارميا في (ارميا 31: 31):

هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً.

وكما يعرف غالبية المؤمنين المسيحيين، فإن العهد الجديد يُعَلِّم أن يسوع جاء إلى هذا العالم كوسيط لهذا العهد الجديد. أقر يسوع بنفسه هذا الدور عندما تحدث إلى تلاميذه في العشاء الأخير. وكما نقرأ في (لوقا 22: 20)، أخبرهم يسوع "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ".

وهكذا نرى أنه كما أن نوحاً حقق خلاصاً من الدينونة كوسيط لعهد إلهي، فإن يسوع في تأسيس ملكوته خلّص الذين آمنوا به من الدينونة كوسيط للعهد الجديد بدمه الذي سفكه على الصليب.

النصر

بالإضافة إلى وضع عهد جديد، حققت رسالة ومهمة يسوع على الأرض موضوع الانتصار في حرب مقدسة. ركز موسى على موضوع الحرب المقدسة كجزء من النظام الجديد بعد الطوفان. ورسخ الفكرة القائلة إن النظام الجديد في العالم كان يتطلب أن يتقدم بنو إسرائيل إلى الأمام ليحتلوا أرض كنعان، وأكد لهم نيل الانتصار العظيم.

وبالمقارنة، لنصغ إلى الطريقة التي وصف بها بولس انتصار المسيح في تأسيس ملكوته في (كولوسي 2: 15): "إِذْ جَرَدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ اشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ".

كما نرى من هذه الآية، كان انتصار المسيح في مجيئه الأول روحياً وليس سياسياً. إن موت يسوع وقيامته كانت بداية هزيمة قوى الشر والسلطين الروحية التي سيطرت على العالم في أيامه. كما أن الفداء الذي أنجزه فضح هذه القوى وعرضها جهاراً بنفس الطريقة التي أظهر بها يهوه انتصاره على مدينة بابل في العصور البدائية، وفيما بعد الطريقة التي بها دمر مدن كنعان العظيمة. من خلال هذا المعنى، لم يحقق يسوع الخلاص خلال عهده الجديد فحسب، لكنه كان أيضاً منتصراً على قوات الظلام الروحية من خلال موته وقيامته. وهكذا ينظر أتباع المسيح إلى خدمته على الأرض كبداية للانتصار الأخير الموعود به منذ زمن طويل جداً في سفر التكوين.

وكما هو متوقع، فإن العهد الجديد لا يربط فقط مواضيع (تكوين 6: 9 إلى 11: 9) بمجيء المسيح الأول، لكن هذه المواضيع تنطبق على استمرار الملكوت، أي الزمن الذي نعيش فيه نحن الآن.

الاستمرار

يصف العهد الجديد الزمن بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثاني بطريقتين على الأقل ترتبطان بالفصول الأخيرة من تاريخ موسى للعصور البدائية. ترتبط هذه الفصول بأهمية المعمودية

وبالحرب الروحية في حياة المؤمن المسيحي. يمكننا أن ندرك تأثير ومغزى طوفان نوح والنظام الجديد الذي تأسس بعد الطوفان بينما نعيش حياتنا المسيحية في هذا العصر.

المعمودية

تصف إحدى الفقرات في العهد الجديد بشكل خاص المعمودية وعلاقتها بطوفان الخلاص في أيام نوح. لنصغ إلى ما قاله الرسول بطرس في (1 بطرس 3: 20-22):

... كَانَتْ أَنَا اللهُ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلُكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَّصَ قَلِيلُونَ، أَيُّ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ. الَّذِي مِثَالَهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ، أَيُّ الْمَعْمُودِيَّةِ. لَا إِزَالَةَ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالَ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. الَّذِي هُوَ فِي يَمِينِ اللهِ، إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلَائِكَةً وَسَلَاطِينُ وَقُوَّاتٍ مُخَضَّعَةً لَهُ.

في هذه الفقرة الرائعة ربط بطرس بشكل مباشر اختبار الخلاص لكل شخص أثناء استمرار الملكوت بطوفان نوح. ابتدأ بطرس بالقول ان نوحاً وعائلته نالوا الخلاص بالماء. وفتح هذا الخلاص الطريق أمام البشرية لتدخل إلى عالم جديد من البركات.

لكن لنلاحظ أيضاً أن بطرس أقام علاقة مباشرة بين الماء في طوفان نوح والحياة المسيحية بتركيزه على المعمودية. قال بطرس أن الماء في أيام نوح كان يرمز إلى الماء في المعمودية المسيحية.

وكما رأينا في هذا الدرس، الماء في أيام نوح عمل على تنقية العالم الذي كان مليئاً بالفساد، وفتح الطريق لبداية جديدة مشابهة لعبور موسى البحر الأحمر والذي أزال بواسطته استبداد مصر مما أدى إلى بداية جديدة لبني إسرائيل. وبطريقة مشابهة، فإن ماء المعمودية ينقي المؤمنين من خطاياهم ويعطيهم بداية جديدة للحياة الأبدية في المسيح.

علينا أن نلاحظ بدقة الآن أن (1 بطرس 3: 21) تقول إن المعمودية تخلّص فقط في معناها على أنها تعهد الضمير الصالح نحو الله. أي أن مجرد الاغتسال بالماء أثناء المعمودية لا يخلّص اي شخص. لكن بدلاً من هذا، عندما تكون المعمودية تعهد القلب الذي نال الغفران وتطهر من الخطية بالايمان بالمسيح، فإنها في هذا المعنى فقط ترمز إلى الخلاص.

وهكذا نرى أن العهد الجديد يطبق طوفان الخلاص في أيام نوح على استمرار الملكوت بالتأكيد على أنه في كل مرة يؤمن فيها الانسان بالمسيح ايماناً شخصياً، فإنه يعبر بوسط ماء التطهير في المعمودية ويخرج إلى حياة جديدة، مثلما عبر نوح وسط الطوفان وخرج إلى عالم جديد.

الحرب الروحية

لكن كما رأينا، أشار تاريخ موسى للعصور البدائية أن الماء في طوفان نوح أنقذ البشرية لتواجه حرباً مقدسة. لفت موسى الانتباه أصلاً إلى هذه الحقيقة ليشجع بني إسرائيل على الامتثال لهذا النظام الجديد بالتحرك لانتصار كنعان. وبطريقة مشابهة، يطبق العهد الجديد هذا التعليم على استمرار الملكوت عندما يصف الحرب الروحية التي يواجهها كل مؤمن. لنصغ إلى الطريقة التي عبّر بها بولس عن هذه القضية في (أفسس 6: 11 و12):

البَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظِلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.

تُعلم هذه الفقرة وفقرات أخرى في العهد الجديد أن المؤمنين اليوم في حرب روحية مع الشر. ولكن لسوء الحظ فإن كثيراً من المؤمنين اليوم لا يدركون هذا الجانب من حياتهم الروحية، مثلما حاول بنو إسرائيل الذي كانوا يتبعون موسى أن يتجنبوا احتلال أرض كنعان. لكن وجهة نظر العهد الجديد واضحة، وهي أن علينا أن نشترك في هذه الحرب الروحية. عبّر بولس عن هذه الحرب في (أفسس 6: 13):

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَحْمَلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُنَمَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا.

إذا لبسنا سلاح الله، سنكون منتصرين في حربنا الروحية. هكذا نرى أنه كما أن العهد الجديد يربط خلاص نوح من خلال الطوفان بخلاصنا من خلال المعمودية، فإنه يعلمنا أيضاً أنه كما أن

عالم العصور البدائية واجه حرباً، هكذا المعمودية المسيحية تخلصنا لنشترك بعدها في حرب روحية كل يوم من أيام حياتنا.

الاكتمال

في ضوء الطريقة التي يطبق بها العهد الجديد الفصول الأخيرة من تاريخ العصور البدائية على تأسيس واستمرار الملكوت، فإنه من غير المستغرب أن نجد أن اكتمال الملكوت توصف أيضاً بعلاقتها بطوفان نوح والحرب التي دارت في النظام الجديد في العصور البدائية.

الكارثة الأخيرة

أقام كتاب العهد الجديد هذه الروابط عن طريق وصف مجيء المسيح الثاني في مجده على أنه الكارثة الأخيرة أو المعركة الأخيرة. نجد في رسالة بطرس الثانية الإصحاح 3 رابطاً واضحاً بين طوفان نوح في العصور البدائية ومجيء المسيح الثاني في المجد. لنصغ إلى الطريقة التي بدأ بها بطرس مناقشته في الإعداد 3 إلى 6:

عَالَمِينَ هَذَا أَوْلَا أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الْأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ. وَقَائِلِينَ أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ لِأَنَّهُ مِنْ حِينِ رَفَدَ الْآبَاءَ كُلَّ شَيْءٍ بَاقٍ هَكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ. لِأَنَّ هَذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مِنْذُ الْقَدِيمِ وَالْأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ. اللَّوَاتِي بِهِنَّ الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ.

في هذه الفقرة يصحح بطرس نظرة المستهزئين الذين أشاروا إلى تماثل نظام الطبيعة كدليل على أن يسوع لن يعود ثانية. آمن هؤلاء الأشخاص أنه منذ الخليفة لم يتغير أي شيء بل بقي متماثلاً، وأن لا شيء أحدث اختلالاً في العالم وغير من الطريقة التي صنع بها الله كل شيء منذ البداية. وطالما أن لا شيء قد تغير، فإنهم آمنوا أن لا شيء سوف يتغير. لكن بطرس التجأ إلى سجل موسى عن الطوفان ليبرهن عكس ذلك. خلق الله العالم منذ البداية من الماء، لكن في أيام نوح

تم تدمير العالم بواسطة الطوفان. حدثت كارثة رئيسية في تاريخ العالم. لقد تدخل الله ودمر العالم في أيام نوح.

لكن لنصغ إلى النتيجة التي توصل إليها بطرس في (2 بطرس 3: 7): "وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَأَرْضُ الْكَائِنَةِ الْآنَ فَهِيَ مَخْرُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةٌ لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلَاكِ النَّاسِ الْفُجَّارِ".

يقول بطرس بكل بساطة أنه كما أن العالم في العصور البدائية زال بسبب الطوفان، فإن السماوات والأرض الكائنة الآن ستزول عند مجيء المسيح الثاني بدينونة. لكن هذه المرة ستأتي الدينونة بالنار وليس بالماء، ونستطيع أن نتأكد أيضاً أنه عندما يصمم الله على اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الخطية التي في العالم للمرة الأخيرة، فإنه سيحصل هذا بواسطة الدمار الكوني العظيم مثلما حدث في الطوفان في العصور البدائية.

بهذه الطريقة اذن يعلمنا العهد الجديد أن ننظر إلى مجيء المسيح الثاني من حيث علاقته بطوفان نوح. في أيام نوح، تم إنزال وإدانة الأشرار من الأرض بواسطة انقلاب كوني عظيم. وبطريقة أعظم بكثير، عندما يعود المسيح في المجد ستحدث كارثة عظيمة تخلخل العالم الذي نعرفه. وسيختفي الأشرار عن وجه الأرض وسيتم نجاة كل الذين يتبعون المسيح ويدخلون إلى سماوات وأرض جديدة أبدية عظيمة.

المعركة الأخيرة

وكما رأينا سابقاً، فإن طوفان نوح في تاريخ العصور البدائية رافقه النزاعات والحروب بين شعب الله واعداء الله. ولهذا يصف العهد الجديد مجيء المسيح الثاني على أنه معركة كونية عظيمة بسبب ارتباطه بطوفان نوح. لنصغ إلى الطريقة التي كتب بها الرسول يوحنا عن مجيء المسيح الثاني في (رؤيا 19: 11-16):

ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أبيضٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً،
وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلْهَيْبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيْجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ
مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلَّا هُوَ. وَهُوَ مُتَسَرِّبٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بَدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ
كَلِمَةَ اللَّهِ. وَالْأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بَيْضٍ، لِابْسِينَ بَرّاً
أَبْيَضَ وَنَقِيّاً. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَّمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ

بَعْصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصِرَةَ خَمْرٍ سَخَطٍ وَغَضَبِ اللَّهِ الْقَائِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْيَابِ.

أعلن يوحنا بلغة رائعة وفخمة لرؤيا الأيام الأخيرة أن مجيء المسيح الثاني سيكون بمثابة معركة عالمية يظهر فيها المسيح نفسه ويدمر كل أعدائه. إن مجد الانتصار الأبدي سيكون من نصيب الذين آمنوا بالمسيح من أجل خلاصهم، لكن الدينونة والدمار سيأتيان على الذين رفضوه. اذن نرى أن العهد الجديد يقدم لنا نهاية ملكوت المسيح واكتمالها على أنها تحقيق نهائي لحرب الله ضد الشر. كما أن الله لا يزال مصمماً على تأسيس ملكوته ضد كل أعدائه. عندما يعود المسيح في المجد، سيتحقق هذا الهدف كلياً، وسيتم اهلاك الأشرار، وسوف يتمتع شعب الله في المسيح بانتصار وسلام دائمين في السماء الجديدة والأرض الجديدة.

الخلاصة

ناقشنا في هذا الدرس (تكوين 6: 9 إلى 11: 9). في هذا الجزء أعلن موسى الاتجاه الصحيح لبني إسرائيل ليتبعوه كقائد لهم. ورأينا البنية الأدبية لهذه الإصحاحات، وكيف صممها موسى ليشجع بني إسرائيل ليتبعوه إلى الأمام بثقة باتجاه النصر في كنعان. ورأينا أيضاً كيف يطبق العهد الجديد هذه المواضيع على المراحل الثلاثة لملكوت المسيح. عندما نواجه الصعوبات والتحديات في حياتنا التي نحيها للمسيح في هذا العالم الساقط، علينا أن نتشجع من الرسالة التي أعطاها موسى لبني إسرائيل منذ زمن طويل. أنقذنا الله في المسيح من سيطرة الخطية بنفس الطريقة التي أنقذ بها عالم العصور البدائية بواسطة نوح. لكن الله وضعنا أيضاً على طريق يتطلب فترة من النزاعات والحروب بينما ننتظر اليوم الذي سيحقق فيه المسيح النصر النهائي لشعبه. وحتى ذلك الوقت، نعلم أن العالم الذي نعيش فيه ليس كاملاً لكننا نستطيع أن نتأكد من أن اتباع المسيح في معركته الروحية للسيطرة على العالم هو السير في الاتجاه الصحيح.